

المنصف الفخفاخ من جيل الطموحات الكبرى

د. الهادي جلاب

مدير عام الأرشيف الوطني بتونس

Hedi.jallab@gmail.com

إنه لمن الصعب علينا أن نرسم مسار رجل معطاء أحب العمل وأحب الوطن وأحب التاريخ وأحب مصادر حفظ الذاكرة الوطنية. لقد جمعتني بالدكتور المنصف الفخفاخ، رحمه الله، مغامرة رائعة وتجربة فريدة: بناء مؤسسة عصرية لحفظ الذاكرة الوطنية وبناء نظام عصري للتصرف في الوثائق والأرشيف، مغامرة رائعة كان له السبق في تصورها وبلورتها والشروع في إنجازها. وكان لي الشرف في الانضمام إليها ومواصلتها صحبة عشرات الصديقات والأصدقاء والزميلات والزملاء من خيرة ما أنجبت الجامعة التونسية من مدرسي المعهد العالي للتوثيق ومن خريجيه.

ولد المنصف الفخفاخ يوم 07 ماي 1947 نشأ وكبير وتعلم في مدينة صفاقس، مدينة الكد والكبح والعمل، بعد حصوله على شهادة البكالوريا، انتقل إلى تونس ليدرس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ليتخرج منها ويبدأ رحلة العمل والاجتهاد والنضال - النضال الذي بدأه صلب الاتحاد العام لطلبة تونس.

التحق في بداية مسيرته المهنية بمدرسة المدارس أي بالتعليم الثانوي حيث عمل أستاذا بالمعاهد الثانوية في حومة السوق (جزيرة جربة) وصفاقس ثم تونس ومارس مهنة التدريس بكفاءة واقتدار وإخلاص وتخرج على يديه عدد هام من الكفاءات والكوادر. خاض خلال مرحلة التعليم الثانوي تجربة النضال النقابي المسؤول في أدق مراحلها في السبعينات وبداية الثمانينات وكانت نقابة التعليم الثانوي آنذاك حاملة لواء تجديد العمل النقابي واستقلاليتيه.

ثم جاءت مرحلة انتقالية في حياته التحق خلالها بالمعهد العالي للتوثيق وكان آنذاك يديره أستاذنا الفاضل عبد الجليل التميمي، الذي كان له الفضل في دفع المرحوم المنصف الفخفاخ إلى إعداد أطروحة دكتوراه حول الدفاتر الإدارية والجبائية وفي مساعدته لتولي مهام مصلحة الأرشيف العام للحكومة بعد أن أصبح أستاذا لعلم الأرشيف بالمعهد العالي للتوثيق وهنا بدأت مرحلة جديدة هامة في حياة فقيدنا بل لعلها الأهم.

فبسرعة فائقة ونجاعة لافتة ومنهجية علمية وعقلانية ناجزة بنى المنصف الفخفاخ في سنوات قليلة نظاما وطنيا متكاملا للتصرف في الوثائق العمومية والأرشيف فصدر القانون في شهر أوت من سنة 1988 ثم تلتها أوامر تطبيقية وقرارات ومناشير فأصبحت لتونس مدونة قانونية وترتيبية متكاملة في الأرشيف بما فيها نظام أساسي للمهنيين. أحدثت مؤسسة الأرشيف الوطني وأحدثت هيكل الأرشيف بالوزارات والمرافق

العمومية وتم انتداب متخصصين في الأرشفة للعمل بهذه الهياكل وهم من خريجي المعهد العالي للتوثيق وكان المرحوم وراء إحداث مرحلة تكوين المتصرفين في الوثائق والأرشفة في أواسط تسعينات القرن العشرين ومرحلة تكوين متصرفين مستشارين في بداية سنوات الألفين.

وبداية من سنة 2000 تم إقرار برنامج وطني لإنعقاد المختصين مكن من توفير 1600 متخصصا في الوثائق والأرشفة لمختلف مؤسسات الدولة، (بعد أن كان عددهم يعد بالعشرات فقط). وفي نفس الطرف بدأت مرحلة حاسمة في إكمال النظام بإعداد أدوات التصرف في الوثائق و الأرشفة دامت 06 سنوات وكان لي شرف المساهمة فيها مع مسؤولي الأرشفة بالوزارات.

وعلى مستوى مؤسسة الأرشفة الوطني تم إنجاز المخطط المديرى للإعلامية وتطوير موقع وأب للمؤسسة ومنظومة مندمجة للتصرف في الوثائق العمومية والأرشفة والكتب.

ولم يهمل الفقيد المنصف الفخفاخ أرشفة الوزارات حتى تم إقرار إنجاز مبنى للأرشفة الانتقالي لفائدة هذه الوزارات، بدأ إنجازها عندما غادر المرحوم المؤسسة في ماي 2006.

وبالتوازي مع عمله بمؤسسة الأرشفة الوطني واصل التدريس بالمعهد العالي للتوثيق وتخرجت على يديه خيرة الكفاءات في هذا المجال. وحتى بعد مغادرته ظل حريصا على تطوير المؤسسة وكان وراء إنجاز مخبر متعدد الاختصاصات بالمعهد للنهوض بالتكوين في مجال الوثائق والأرشفة لم يسعه الوقت لحضور تدشينه وافتتاحه.

بعد تمتعه بحقه في التقاعد، لم يتوقف عن العمل بل واصل تركيز نظم الأرشفة، بخبرته وجدته ورؤيته الثاقبة المعهودة، فكانت سلطنة عمان إنجازها الثاني بعد تونس. ففي سنوات قليلة أنجز ما عجزت عنه مؤسسات دول لها من الإمكانيات الشئ الكثير.

(صدر القانون واللوائح التطبيقية وأنشأت مؤسسة وطنية وبدأ التكوين بتونس وبسلطنة عمان وصدرت أدوات التصرف في الوثائق).

وكان قد ساعد قبل ذلك مؤسسات الأرشفة في اليمن والسنغال والكويت دي فوار، كما ساعد في السنوات الأخيرة المغرب الشقيق في إصدار النصوص التطبيقية لقانون الأرشفة به، ثم بدأ تجربة جديدة لبناء نظام أرشفة بإمارة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة لكن المرض لم يمهل لإتمامها.

على المستوى الدولي ترأس الفقيد الجمعية العالمية للأرشفة الفرنكوفوني منذ إنشائها إلى 2006 والفرع الإقليمي العربي من سنة 1988 إلى 1990. كما ساهم مساهمة فعالة في إنجاز البوابة العالمية للأرشفة الفرنكوفوني التي تم افتتاحها بتونس سنة 2005، كما كان عضواً بالمكتب التنفيذي للمجلس الدولي للأرشفة ورئيس لجنة التقييم بهذا المجلس.

- المنصف الفخفاخ كان يتقن كل عمل يقوم به.
- المنصف الفخفاخ عُرف بصرامته مع نفسه ومع محيطه صرامة تصل حد القسوة أحيانا.
- المنصف الفخفاخ كلمة واحدة تعرفه : العمل ثم العمل ثم العمل.
- المنصف الفخفاخ ينتمي إلى جيل الطموحات الكبرى والتحدي والتضحية والاندفاع، جيل ناضل من أجل تونس التقدم والحرية والعدل. لكنه كان يمتاز بشيء أساسي، كان لا يكتفي بالكلام والحلم كان يفعل ويعمل في محيط لم يكن دائما ملائما وتمكن رغم ذلك من أن ينجز لتونس ولأجيالها القادمة الشيء الكثير ويكفيه أنه طور مؤسسة شعارها وهدفها "حفظ ذاكرة الشعب".
- إن عزاءنا في فقدان المنصف الفخفاخ أن البناء الذي شرع في انجازه بدأ يكتمل وأن الرصيد الأرشيفي التاريخي الذي تركه سنة 2006 في حدود 50 ألف حافظة تجاوز اليوم 250 ألف حافظة.
- إن عزاءنا أن طلبته يتحملون اليوم وفي مختلف هياكل الدولة وفي الأرشيف الوطني مسؤولية هذه الوظيفة الحيوية للمجتمع : حسن التصرف في الوثائق والمعلومات وجمع مصادر الذاكرة الوطنية وينجزون أعمالهم كما علمهم بكل دقة وتفان.
- رحم الله المنصف الفخفاخ وأسكنه فراديس جناته ورزق أهله وذويه ورزقنا جميعا جميل الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.